الشعر المرسل

للآنسة سهير القلماوى

ليسانسييه فى الآداب

فى مقال الأستاذ قدرى لطفى الذى نشر بالعدد الخامس عشر من الرسالة أشياء كثيرة يحسن الاجابة عنها ، لولا انى احببت أن أكتب هذا المقال عن رأيى فى الشعر المرسل لا فى الرد على الأســـتاذ . ولكنى لا أترك مقال الاستاذ هكذا بل سأطلعك على بعض فقرات ترى منها انى لم أهمل الاجابة عنه لانها شـاقة بل لأنها من السهولة بحيث يعرفها القارىء متى قرأ المقال .

انظر الى قوله مثلا : « اما تمام المعنى فى البيت الواحد فلم يكن من خصائص الشعر العربى وإنما كان من خصائص الشعراء العرب» . . !! وخبرنى بعد معنى هذا القول ومدى نصيبه من الصحة .

ثم انظر الى قوله « ولا أحسب أحدا يدعونا إلى ترك الشعر القديم واهماله لنفسح المجال للشعر المرسل فى غير حاجة ماحة ولا ضرورة ملجئة » وخبرنى بعد من ذا الذى يريد للفن أن يخضع للضرورات الملجئات والحاجات الملحات، وخبرنى أيضاً أإذا دعونا الى الشعر المرسل كان معنى هذا أن نهمل الشعر المقفى ، لم لا يجوز وجودهما معاً ، وكلنـا يعـلم أن الشعر المرسل فى كل لغـة وجد فيها لم يمح الشعر المقفى وانما وجد بجانبه .

وأمثال هذين المثلين كثير فليقرأ القارىء مقال الاستاذ فهو خير دليل على ما زعم .

ولقد تورط الأستاذ ابّان ثورته غيرةً على القافيـة فى غير هذا النوع من الخطأ . فقد زعم أنى قلت: « انى لا أشعر بفقد القافية ما دام المعنى كاملا فى البيت »؛ زعم الأستاذ انى أريد بذلك حكما أو تأثيراً فى الحكم على قصيدتى . وانا وان كنت لا ألوم الأستاذ على هذا النوع من الفهم لما يقرأ الا انى أذكر له انى لو لم أدون فكرتى فى هذا النوع من الشعر المرسل الذى نظمت به قصيدتى لأسأت الى نفسى والى قارئى لأنى أؤمن تماماً أن من واجب الكاتب أن يصور للقارىء فكرته واضحة جلية، ولما كانت فكرتى شيئاً يتعلق بالحس فقد صورت للقارىء شعورى . ولكن الفرق بين طريقتى فى التعبير وبين طريقة الأستاذ، هو أنى دونت شعورى ونسبته الى نفسى ، أما هو فقد دون شعوره وعممه متخذا نفسه مقياساً لكل قارىء ، انظر الى قوله : « ولكن اصطدام القارىء بحروف متغايرة فى أواخر الأبيات يشعره بفقدان الوزن فى ثناياها ! ! »

ولندع مقال الأستاذ لأدون رأيى فى مسألة الشعر المرسل واضحاً جلياً حتى لا يتورط غير الأستاذ فيما تورط فيه .

الجدال فى الشعر المرسل لا يقوم على أساس، فالمسألة ليست من مسائل الحساب أو المنطق ، وانما هى مسألة حس . أنت تسمع نغما فيعجبك ، وأنا أسمعه فلا يعجبنى ، فاذا تناقشنا أعواماً ما استطاع أن يقنع أحدنا الآخر . أذنى تستسيغ الشعر العربى مرسلا ، وقد تكون أذنى شاذة ، ولكنك لن تقنعنى بعدم استساغته . ستقول لى: ولكن المسألة ليست فوضى ، فهناك الذوق العام ، ولكنى وإن كنت احترم الذوق العام لا أقبـل حكمه دائمـاً ، وفى كل الأحوال ، فالذوق العام له تاريخ فى مثـــل هذه الأحوال يجعلنى أتشبث برأيى . فقد يستسيغ الذوق العام غداً ويشغف بما لم يطق سماعه بالأمس ، وفى مسألة الشعر المرسل خاصة كان للذوق العام تاريخ يعيد نفسه منذ كان هذا النوع من الشعر بغيضاً غير مستساغ أول ظهوره فى كل لغة ظهر فيها، فلا ضير أن يكون كذلك فى اللغة العربية أيضاً .

ثم هناك ناحية أخرى، فالذوق العام لا يستطيع اليوم أن يحكم حكماً عادلا فى الشعر المرسل لأنه لم يسمع منه الا القليل ، وقد لا يكون فى هذا القليل شىء جميل رائع كالذى فى الشعر المقفى .

وقد تقول لى أخيراً أن طبيعة اللغة العربية لا توافق مثل هذا النوع من الشعر ، وأنا وإن كنت لا استطيع التحدث عن طبيعة اللغة العربية بمثل هذه السهولة الا انى أزعم أنها قد تتحور

قليلا فتقبله. وأنت ان استطعت الحكم على الماضى والحاضر فلن تستطيع الحكم على المستقبل . ولكن ما بال طبيعة اللغة قبلت تغيير القافية فى القصيدة الواحدة اذا غيرتها كل خمسة أبيات مثلا، ولا تقبلها اذا غيرتها؟ فى كل بيت . ثم ما بال طبيعة اللغة قبلت تغيير القافية فى كل بيت اذا ما راعيت القافية بين شطرى كل بيت على حدة ، ولا تقبل تغير القافية دون مراعاة الموافقة بين الشطرين ؟ ثم ما بالها أخيرا قبلت تغير البحور فى القصيدة الواحدة ولا تقبل تغير القافية ولزوم بحر واحد ؟ ستقول ولكن فى كل هذا نوعا من القافية كافياً لاحداث تلك الموسيقى المألوفة . اذن لقد أصبحت تقتنع بشىء من القافية بعد أن كان الشعر العربى لا يقنع الا بالقافية كلها متبعة من أول القصيدة الى آخرها . واذا قبلت اللغة بعض النغير فانى أزعم أنها ستقبل التغير كاملا .

وما رأيك فى أنى أرى فى الشعر المرسل أنواعاً جديدة من الموسيقى يعجز عنها بل قد يفسدها الشعر المقفى ؟

الوزن فى القصيدة ليس بالنغم الخافت الذى تسمعه الأذن ، فهو عندى وأظن عندنا جميعاً أقوى موسيقى فى الشعر، ثم هناك موسيقى الألفاظ وموسيقى الحروف ، فهل من المحتوم وجود القافية المكررة المحركة بحركة معينة حتى نشعر بأن هناك موسيقى ؟

والغريب أنه بينما نحن نتناقش فى الشعر المرسل يتناقش الأدباء الأمريكيون الحديثون فى الشعر الحديث الذى لا وزن له ولا قافية .

ليطمئن قرائى فسيفنى عمرى فى الدعوة إلى الشعر المرسل ، فهل يتيسر لى أن أدعو الى هذا الشعر الحديث الذى لا أستسيغه الآن ؟ ولكنى لا أعرف ، فقد استسيغه غدا .

وأخيراً أرى كما أسلفت أن المجال ليس مجال جدال وإنما خير رد على خصوم الشعر المرسل هو أن أكتب وأن يكتب غيرى من أنصار الشعر المرسل قصائد نستطيع أن نقنع بها الذوق العام الذى نحترمه جميعاً ، وأن نقنع بها أيضاً من يهمنا اقناعهم .

سهير القلماوى

العالم يجرى !!

كل شىء يجرى فى هذا العصر ، وكل شىء يسرع . والعالم فى اسراعه للأمام ، لا يكاد يتلفت يمنة ولا يسرة ، وان كان يتجه الى الخلف فى أحيان قليلة ، ليرى كم قطع من المسافات

فالبخار لم يعد يستطيع تلبية هذه الحاجة الملحة للسرعة فخلفه الطيران ، والطائرات نفسها تكاد تعجز عن تلبيتها ، فتزيد كل يوم فى سرعتها ، وتقوم المسابقات العالمية لهذا الغرض .

والتليفون والبرق لم يعودا كافيين ، فاذا بالراديو واذا بالتلفزيون لنقل الاصوات ولنقل الصور ، بل لنقل المناظر ذاتها لا صورتها . واذا بالأفلام الناطقة تعرض الصوت والحركة ، وتغنى بالعين والسمع عن الوهم والخيال !

هذه الظاهرة السيكلوجية الغريبة ، قد جرفت معها الأدب أيضاً ، وجرفت الفنون جميعا ، وكان ذلك طبيعيا ، لأن الفنون هى الظاهرة للنفس الباطنة .

فالفن اليوم لمحات خاطفة ، وملاحظات سريعة ، لا يقف للدرس العميق ، والتحليل الدقيق ، لأن طبيعة العصر لا تمهله للوقوف ، وإلا سبقته الحياة بآلاف الأميال

والمجلات العلمية اليوم تكاد تنعدم ، والباقى منها أخذته نشوة السرعة أيضا فلم تعد بحوثه مركزة ، ومع ذلك فهى لا تجد العدد الكافى من القراء فتضمحل وتذوى ، وتدرج فى زوايا النسيان .

وأنا على يقين من تبدل هذه الحال ، فالعالم الذى يجرى الآن بكل قوته ، لابد أن يدركه الكلال ، ولابد أن تنقطع به هذه النشوة الطائشة ، فيتمهل ليعرف ما يحيط به

وسيضحك العالم من نفسه يومئذ على تلك الحماقة التى ارتكبها ، كما يرتكب الأطفال حماقاتهم ، ركضا وجريا ووثبا